إعادة الهيكلة والإيواء في بعض أحياء العاصمة ـ نواكشوط

كواد ولد سيدي
مدرسة الدكتوراه: المجال- الأرض- السكان
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة انواكشوط العصرية

المقدمة

يسجل سكان الحضر زيادات سنوية كبيرة ومستمرة إذ وصلت نسبتهم 50% من سكان العالم لأول مرة في تاريخ البشرية عام 2008، ومن المتوقع أن ترتفع هذه النسبة لتصل إلى 60% في أفق 2030م[1]، وقد نتج هذا التزايد المضطرد عن تضافر عوامل عديدة كالهجرات الريفية الواسعة نحو المدن في مرحلة أولى، ومعدلات النمو الطبيعي المرتفعة لسكان تلك المدن في مرحلة ثانية، وما صاحب ذلك من تحولات مجالية واقتصادية واجتماعية كبرى أدت إلى تركز للأنشطة الاقتصادية والخدمات المتطورة في المدن على حساب الأرياف، فأصبحت عاجزة عن توفير احتياجات سكانها من الخدمات الضرورية المختلفة. كما تشهد المجالات الحضرية اتساعا متزايدا يفوق نظيره الديمغرافي بحدود الضعف، وعلى المستوى الاقتصادي تحتضن المدن قرابة 80% من الإنتاج المحلي الإجمالي العالمي، ورغم ما تظهره هذه الميزات من إيجابية إلا أن غالبية المدن اليوم لاسيما مدن العالم الثالث تواجه في الوقت نفسه تحديات عديدة وفي مقدمتها ظاهرة السكن العشوائي، وغياب أو ضعف سياسات الإسكان، والفقر الحضري، وتعميق الهوة بين الفئات الاجتماعية، ونقص الخدمات وانتشار التلوث وغيرها، وتعود هذه المشكلات في جزء كبير منها إلى عدم نجاعة السياسات التنموية عامة والحضرية خاصة. ويؤكد الهدف الحادي عشر من أهداف

---

[1]) برنامج الأمم المتحدة للمستوطنات، تقرير المدير التنفيذي، حوار بشأن الموضوع الرئيسي الخاص للدورة الخامسة والعشرون، نيروبي 2015، ص 1.

التنمية البشرية لما بعد 2015 على" جعل المدن والمستوطنات البشرية شاملة للجميع وآمنة وقادرة على الصمود ومستدامة"[1]. بحيث يصبح" التحضر ظاهرة إيجابية يمكن تشكيلها بصورة استباقية"[2].

أولا- أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في تناول ظاهرة السكن العشوائي في مدينة نواكشوط من خلال عرض أسبابها وانعكاساتها على السكان والمجال، وتتبع سياسات التهيئة الحضرية للقضاء على تلك الظاهرة ومدى نجاعة تلك السياسات وكيفية تعامل السكان المستهدفون معها والصعوبات والتحديات التي تواجهها الجهات المعنية والسكان على حد سواء في ردم الهوة بين مناطق إعادة الهيكلة وإعادة الإيواء من جهة وبينها وباقي أحياء مدينة نواكشوط من جهة أخرى، وكيفية إعادة تشكل أحياء عشوائية جديدة كلما انتهت عمليات التهيئة في الأحياء القائمة.

وقد واجهت عملية إعادة الهيكلة والإيواء تحديات عديدة وفي مقدمتها شح الموارد المالية والخبرات الوطنية وارتفاع تكاليف مد الشبكات الحضرية والبنية التحتية الخدمية في ظل اتساع المجال الجغرافي للمنطقة، ونقص الوعي بين السكان المستهدفين وضعف التحسيس والتواصل مع الإدارة، وعدم قدرتهم على تطوير الأراضي الممنوحة لهم نظرا لضعف الدخل وتدني المستوى المعيشي وغياب الأنشطة المدرة للدخل لغالبية الأسر المعنية، مما دفع بعضها إلى بيع القطع الممنوحة له أو التخلي عنها، كما أدى غياب نظام فعال لرقابة المجال الحضري إلى ظهور بؤر جديدة من السكن العشوائي في منطقة الإيواء وعلى أطراف منطقة إعادة الهيكلة[3].

ثانيا-أهداف البحث:

إن محاولة تحليل واقع الأحياء العشوائية في مدينة نواكشوط قبل وبعد عمليات إعادة الهيكلة والإيواء في تلك الأحياء تتطلب تتبع الأسباب والعوامل التي أدت لانتشار ظاهرة السكن العشوائي في مدينة نواكشوط من جهة، وسياسات التهيئة الحضرية للقضاء عليها من جهة ثانية، وانعكاسات

---

[1]) المرجع نفسه، ص 2.

[2]) المرجع نفسه، والصفحة ذاتها.

[3]) وكالة التنمية الحضرية، معلومات غير منشورة، نواكشوط 2018.

ذلك على الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والخدمية والبيئية بغية الإسهام في توجيه تلك المتغيرات الوجهة السليمة وفق أسس علمية وتخطيطية واضحة تحقق تنميتها المستدامة وتوازنها المجالي.

لذلك نسلط الضوء على مدينة نواكشوط عامة والأحياء العشوائية وتهيئتها بشكل خاص، حيث طرأت محفزات عدة للقيام بذلك منها ظهور النتائج النهائية لرابع تعداد عام للسكان والمساكن على مستوى الوطن أجري سنة 2013، حيث تشير تلك النتائج إلى أن سكان المنطقة المدروسة(مقاطعات عرفات، دار النعيم، توجنين) بلغوا 464053 نسمة أي ما نسبته 48.41% من سكان نواكشوط الكبرى و13.11% من سكان البلاد البالغ عددهم 3537368 نسمة[1] سنة 2013، في حين لم تتجاوز نسبتهم 39.29% من سكان مدينة نواكشوط وفق تعداد سنة 2000، كما ستشكل تلك النتائج مصدرا جديدا للكثير من المعطيات التي ستساعد في فهم وتحليل ومقارنة المعطيات المتعلقة بالسكان والمساكن والخدمات وغيرها، بالواقع الميداني لأحياء إعادة الهيكلة وإعادة الإيواء(الترحيل) في منطقة الدراسة.

ولا يقتصر المقال على تقديم وتقييم مشروع إعادة هيكلة الأحياء العشوائية بمدينة نواكشوط الذي يتسم بالآنية من جهة وبكونه جاء كردة فعل على تفاقم أزمات تلك الأحياء من جهة أخرى، بقدر ما يهدف للإسهام العلمي في حلحلة واقع الأحياء العشوائية ودراسة العوائق التي تقف أم التهيئة الحضرية في مدينة نواكشوط.

ثالثا- إشكالات الموضوع وأبعاده:

ظل الاهتمام بالمدن ومشكلاتها حاضرا كظاهرة جديرة بالدراسة من جوانب مختلفة تتعلق بتنظيمها وتطورها، ودراسة بنيتها الداخلية، وتأثيرها وتأثرها بالديناميات المجالية على المستويات الجهوية والوطنية وحتى العالمية، باعتبارها فاعلا قويا في التمايز المجالي.

إن التفاوت الملحوظ بين دول وأقاليم العالم على مستوى التنمية جعل مشكلات المدن تختلف وتتباين تبعا لذلك ففي الدول المتقدمة تتصدر مشكلات كالتلوث والاختناقات المرورية قائمة تلك المشكلات التي يتم التحكم فيها غالبا، بينما تعاني أغلب مدن الدول النامية من مشكلات عديدة ومستعصية كما سبقت الإشارة تأتي مشكلة السكن العشوائي في مقدمتها ففي القاهرة سكن

---

[1]) المكتب الوطني للإحصاء، التعداد العام للسكان والمساكن، النتائج الأولية، نواكشوط 2013، ص 14.

المهاجرون منذ قديم الزمان المقابر كما يعيش حوالي ثلاثة أرباع سكانها اليوم في الأحياء العشوائية التي تغطي نصف مساحة المدينة، وأما مدينة دمشق وعمان والدار البيضاء فلها نصيب هي الأخرى من ظاهرة السكن العشوائي ولا تشذ مدينة نواكشوط هي الأخرى عن نظيراتها فقد عرفت الظاهرة قبل أن تكمل العقد الثاني من عمرها في سبعينيات القرن العشرين.

أدى تسارع معدلات التحضر في الدول النامية إلى تزايد مضطرد لسكان المدن فاقت معدلاته معدل النمو السنوي للسكان على المستوى الوطني ومعدلات النمو الاقتصادي والخدمي للمدن التي أصبحت تعاني " في معظمها من غياب خطط حضرية متكاملة تأخذ في الاعتبار مراحل النمو المدني، مما أدى إلى تفاقم مشكلات المدن والتي تجلت في نقص البنيات الأساسية والخدمات لمواجهة الاحتياجات المتزايدة للسكان"[1] فسجلت المدن نقصا حادا في مجالات الإسكان والنقل والخدمات التعليمية والصحية والثقافية وغيرها، وهو ما ينطبق على مدينة نواكشوط التي يعاني سكانها من غياب أو نقص الخدمات عامة والسكن الذي يعد حاجة ملحة بالنسبة لفئات عريضة منهم خاصة الفقراء وذوي الدخل المحدود.

وهكذا أدت التحولات الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي شهدها المجال الموريتاني منذ النصف الثاني من القرن العشرين إلى تمايز عميق في ديناميات ومظاهره وانعكاساته على مختلف أوجه الحياة، مما سبب أزمات جذرية طالت عموم المجال الوطني بشقيه الحضري والريفي، وتعود تلك الأزمات في جزء منها إلى عوامل طبيعية كالجفاف والتصحر وما ترتب عنهما من تدهور في النظم البيئية إذ تراجع الغطاء النباتي بصفة عامة والغطاء العشبي منه بصفة خاصة نتيجة تناقص المعدلات السنوية للأمطار، وهو ما أدى إلى القضاء على أغلب الثروة الحيوانية، وتراجع ملحوظ للزراعات المطرية والفيضية، وانخفاض مناسيب المياه الجوفية[2]، مما جعل البادية والريف المستقر مناطق طرد حقيقية للسكان خاصة في ظل ضعف نصيبها من مشاريع التنمية عامة، والخدمات وفرص العمل خاصة، أما العوامل البشرية التي عززت دور العوامل الطبيعية في

---

[1]) فتحي محمد أبو عيانة، مشكلات السكان في الوطن العربي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص 109.

[2]) ولد المحبوبي، سيدي عبد الله، الهجرات الداخلية والتنمية في موريتانيا(الثنائي الحرج)، المطبعة الجديدة، تونس 1997، ص 183.

تأزم المجال الموريتاني وترسيخ اختلالاته فهي متعددة ومتشعبة، جاء بعضها كنتيجة موضوعية للظروف الطاردة في الوسطين البدو والريف المستقر ونعني هنا الهجرات الداخلية، وتمثل بعضها الآخر في السياسات العمومية التي سعت في المراحل الأولى من تأسيس الدولة لإنشاء دعائم ومرتكزات عصرية جديدة للاقتصاد الوطني من خلال الاستثمار الكبير في قطاعي التعدين والأنشطة الخدمية في المراكز الحضرية ولاسيما العاصمة نواكشوط، مما جعل تلك المراكز تستقطب أغلب الاستثمارات العمومية والخصوصية على حساب الأرياف، وهو ما فسح المجال أمام تيارات الهجرة الداخلية صوبها بأعداد كبيرة ومستمرة، مما كان له بالغ الأثر على الوسطين الريفي والحضري في الوقت نفسه[1].

تقدم مدينة نواكشوط نموذجا للمجال الحضري الموريتاني وما شهده من ديناميات مختلفة أدت إلى تضاعف حجم سكانه واتساع مساحته وتعدد وظائفه ومشكلاته الحضرية والاقتصادية والاجتماعية والبيئية، مما جعله جدير بالاهتمام والدراسة، سواء تعلق الأمر بالأسباب التي أوصلته إلى هذه المرحلة أو بانعكاساتها على الإنسان والمجال أو بالحلول والتدابير التي ينبغي تقديمها للجهات المختصة بتنمية المدينة الموريتانية وحمايتها، خصوصا إذا تعلق الأمر بإحدى أكبر التحديات التي واجهت وتواجه العاصمة نواكشوط ألا وهي مشكلة السكن العشوائي وإعادة هيكلته. فما هي ديناميات السكن في مناطق إعادة الهيكلة وإعادة الإيواء بمدينة نواكشوط؟ منهم السكان المستهدفون؟ منهم الفاعلون الحقيقيون؟ ما هي السياسات والبرامج؟ وما هي الآثار المترتبة على عمليات إعادة الهيكلة والإيواء؟ على مستوى المجال: إنتاج العقار، تنظيمه وتجهيزه؟.

رابعا- فرضيات البحث

ينطلق هذا البحث من فرضيات عدة استقاها الباحث من خلال اطلاعه على العديد من الدراسات العلمية والأعمال الميدانية بحكم العمل منذ ما يزيد على سبع سنوات في وكالة التنمية الحضرية الجهة المسؤولة عن عملية إعادة هيكلة الأحياء العشوائية وهو ما شكل مصدر استلهامه للفرضيات التالية:

- أن مناطق إعادة الهيكلة وإعادة الإيواء(الترحيل) تعيش أزمات حضرية (اقتصادية وخدمية واجتماعية وبيئية) حقيقية شبيهة بتلك التي كانت الأحياء العشوائية تعيشها قبل إعادة الهيكلة.

---

[1]) أنظر للإطلاع أكثر المرجع السابق.

- أن سياسات إعادة الهيكلة وإعادة الإيواء(الترحيل) نجحت في تحقيق حلم سكان الأحياء العشوائية في الحصول على السكن.
- أن الظروف المعيشية والخدماتية لسكان مناطق إعادة الهيكلة وإعادة الإيواء(الترحيل) تحسنت إلى حد ما عن ما كانت في الأحياء العشوائية سابقا.
- أن التوسع العمراني للمدينة جراء استصلاح أراضي جديدة لإعادة إيواء المرحلين أدى إلى طرح تحديات عديدة من حيث تزويد الأحياء الجديدة بالخدمات وربطها بالشبكات الحضرية وتوفير الأمن وغيرها.
- عدم انسجام المخططات والبرامج التنموية كان من أهم العوامل التي جعلت مناطق إعادة الهيكلة وإعادة الإيواء(الترحيل) تعيش مشكلات جمة على أكثر من صعيد.
- أن التوسع العمراني في منطقة الدراسة تأثر بعوامل عديدة طبيعية كمؤهلات المكان(الموضع، مظاهر السطح، البنية الجيولوجية) وبشرية كضعف الإمكانات المالية والبشرية ووجود ملكيات خاصة ضمن منطقة الدراسة وارتفاع الطلب على السكن.
- أن غياب سياسات التهيئة الحضرية وعدم ملاءمة المنفذ منها للواقع أدى إلى استفحال بعض المشكلات الحضرية كالسكن العشوائي والمضاربات العقارية في مدينة نواكشوط.
- هناك تباين في المشهد السوسيو-مجالي والحضري العام، من حيث تنظيم واستغلال المجال الحضري. بمعنى أن هناك تباينات واختلالات مجالية واضحة بين أحياء المدينة ككل وداخل منطقة الدراسة بشكل خاص.
- أن قصور سياسات التنمية وفشلها على مستوى مدينة نواكشوط خاصة وموريتانيا عامة كان من بين العوامل التي جعلت المدينة تعيش مشكلات جمة وفي مقدمتها مشكلة السكن العشوائي مما جعل عمليات إعادة هيكلة الإحياء العشوائية لا تكاد تنتهي حتى تتشكل أحياء عشوائية جديدة على أطراف المدينة.
- أن مدينة نواكشوط تعيش منذ إنشائها وحتى اليوم (2018) أزمات حضرية اقتصادية وخدمية واجتماعية وبيئية حقيقية تتطلب تهيئة حضرية واعية تأخذ في الحسبان كل الأبعاد الحضرية والديموغرافية والاقتصادية والبيئية.

خامسا- المناهج والأساليب المتبعة في الدراسة:

سيتم الاعتماد في هذا العمل على مناهج وأساليب عدة منها المنهج التاريخي "ويقصد به القيام بوظيفة معرفية أساسية، ومهمة لاسترجاع أحداث تاريخية بطريقة علمية للكشف عن دقيقها وجليلها بغية التأكد من صحتها، وكذا فهم ملابساتها وفقه دلالاتها"[1] فظاهرة السكن العشوائي وسياسات القضاء عليها مرت بمسارات تاريخية لا يمكن فهم واقعها ومآلاتها المستقبلية إلا بفهم ماضيها، كما استخدم المنهج الوصفي الاستقرائي والاستنباطي الذي يهدف "إلى جمع الحقائق والبيانات عن ظاهرة أو موقف معين مع محاولة تفسير هذه الحقائق تفسيرا كافيا، فالبحوث الوصفية لا تنحصر أهدافها في مجرد جمع الحقائق، بل ينبغي أن تتجه إلى تصنيف البيانات والحقائق وتحليلها تحليلا دقيقا كافيا، ثم الوصول إلى تعميمات بشأن الموقف أو الظاهرة موضوع الدراسة"[2]، وكما تم الاعتماد على المنهج التحليلي التركيبي والمنهج الكمي وهي مناهج مكنت من تناول ظاهرة الأحياء العشوائية في مدينة نواكشوط وسياسات إعادة الهيكلة والإيواء التي رسمت للقضاء عليها في جوانبها وأبعادها المختلفة.

- كما سنعتمد على بعض برامج نظم المعلومات الجغرافية مثل إنفو MAPINFO، آركجيس ARCGIS لإنتاج الخرائط والأشكال وتعديلها حسب الحاجة، وكذلك البرامج الإحصائية في العلوم الاجتماعية مثل برنامج SPSS لأهميتها في معالجة البيانات الديموغرافية وتحليلها وعرضها.

سادسا- دواعي اختيار موضوع إعادة الهيكلة والإيواء في بعض أحياء العاصمة نواكشوط:

آ- الأسباب الذاتية: وهي أسباب عديدة نذكر منها:

- الرغبة الذاتية: حيث لفتت ظاهرة السكن العشوائي بمدينة نواكشوط والتحولات التي يعرفها منذ نشأته انتباه الباحث ودفعته للاهتمام بالموضوع ومن ثم إجراء هذا البحث حوله؛

---

[1]) ملاي، المصطفى الهند، البحث الاسترادادي وإشكالية الوعي التاريخي، نشر في موقع ميثاق الرابطة المحمدية للعلماء www.almithaq.ma/contenu.aspx?C=6024

[2]-www.forum.ok-eg/new.php?print=1&id= 24849.

- حداثة الموضوع: خلال اطلاع الباحث على كل ما كتب عن مدينة نواكشوط رغم أهميته الكمية والنوعية إلا أنه لم يقف على دراسة أكاديمية بمستوى الدكتوراه أو الماجستير تتناول تهيئة الأحياء العشوائية في مدينة نواكشوط خاصة منذ 2008 أي انطلاق العملية على مستوى المقاطعات المدروسة(دار النعيم، عرفات، وتوجنين) وهي العملية التي لازالت مستمرة حتى الآن؛
- ويمكن لهذا البحث أن يشكل امتدادا لما سبقه من دراسات في هذا المجال لتركيزه على إحدى الظواهر الجوهرية والمصيرية في حياة كثير من سكان مدن العالم الثالث ألا وهي ظاهرة السكن العشوائي ومحاولات التصدي لها من قبل الجهات المعنية؛
- العمل في مشروع إعادة هيكلة الأحياء العشوائية لفترة تزيد على سبع سنوات: حيث التحق الباحث بوكالة التنمية الحضرية نهاية 2011 الجهة المشرفة على إعادة هيكلة الأحياء العشوائية في مدينة نواكشوط مما سمح له بالاطلاع ميدانيا على سير العمل سواء كرئيس لجنة في مناطق إعادة الهيكلة وذلك من خلال الإشراف على تسوية مئات الحالات في مقاطعتي عرفات وتوجنين أو عضو في لجان متخصصة للبت في النزاعات الشائكة أو من خلال العمل الإداري كمسؤول عن إجراءات استصدار وثائق المنح النهائي للقطع.

ب ــ الأسباب الموضوعية: وتشمل:

– الأهمية العلمية للدراسة: يعول على هذا النوع من الدراسات في إثارة النقاش العلمي الهادف في الأوساط الأكاديمية، كما يمد صناع القرار ومخططي التنمية بمعلومات ومقترحات جاهزة تساعد في رسم السياسات التنموية لمنطقة الدراسة والمناطق المشابهة لها.

– توفر العديد من الوثائق والمصادر العلمية: رغم قلة الدراسات الحضرية في موريتانيا وحداثتها بشكل عام إلا أن نصيب مدينة نواكشوط من تلك الدراسات كان وافرا سواء تعلق الأمر بالأبحاث التي أعدها طلبة الدراسات العليا استكمالا لمتطلبات الحصول على درجات علمية في جامعات عربية وأجنبية أم تعلق بالدراسات التي قامت بها الدولة الموريتانية وشركاؤها في التنمية في هذا المجال، وهكذا أصبح الحصول على العديد من الأطاريح والتقارير الرسمية عن مدينة نواكشوط أمرا ممكنا رغم ما يحيطه من الصعوبات خاصة إذا حاول الباحث التوفيق بين المعلومات والمعطيات

التي ترد أحيانا متضاربة حتى وإن صدرت عن مؤسسة واحدة في فترات مختلفة وهو ما يستلزم التعامل معها بحذر دائما.

- تشجيع البحث العلمي وإعطاءه المكانة اللائقة في البلد: حرصا من الباحث على المساهمة في البحث العلمي- ولو باليسير- لما له من أهمية في تنمية الدول والمجتمعات لذلك يحاول هذا البحث أن يميط اللثام عن معلومات كثيرة وهامة تتعلق بمشكلة السكن العشوائي في مدينة نواكشوط والسياسات والمقاربات الهادفة للقضاء عليه وما صاحبهما من تحولات مجالية عميقة فالسكن العشوائي يعد من أقدم المشكلات التي تعاني منها المدينة وأكثرها تعقيدا، بينما تشكل عملية إعادة هيكلة الأحياء العشوائية الحالية أهم تجربة في تاريخ التعاطي مع هذه الظاهرة المزمنة سواء من حيث الأهداف التي وضعت نصب عينها أو من حيث النتائج التي بدأت تتبلور مع مرور الوقت ومن هنا تحتمت دراستها بقية التوصل إلى نتائج علمية وتوصيات عملية تقدم إلى صناع القرار والباحثين، وتثري المكتبة الوطنية.

سابعا- تحديد منطقة الدراسة (أحياء إعادة الهيكلة وإعادة الإيواء "الترحيل "):

تركز هذه الدراسة مجاليا على مناطق إعادة الهيكلة حاليا(الأحياء العشوائية سابقا) ومناطق الإيواء(الترحيل) كحيز مجالي يؤثر ويتأثر بالمعطيات الجغرافية الطبيعية والبشرية والاقتصادية، وخاصة المجال المتمدن من هذه المنطقة دون استبعاد المجالات الأخرى القريبة والبعيدة منها والتي لعبت أدوارا مختلفة في الديناميات الحضرية لمدينة نواكشوط ككل، كما يتسع الزمان ليشمل ظروف نشأة هذه المناطق وصيرورة تطورها إلى أن يصل إلى الواقع المعيش حاليا(2019) ويستشرف آفاق تنميتها في المستقبل انطلاقا من هذا الواقع وما قد تحدثه سياسات التهيئة الحضرية في الأفق المنظور.

تتوزع المناطق المدروسة إداريا على ثلاث مقاطعات فبالنسبة للسكن العشوائي الذي بدأت إعادة هيكلته منذ عام 2008 ولازالت مستمرة ينتشر أساسا في مقاطعات عرفات وتوجنين ودار النعيم ويعرف محليا بالكزرة:

- ✓ تضم مقاطعة دار النعيم ثلاثة أحياء شملتها عملية إعادة الهيكلة هي الحي الساكن وتتسويلم ولمغيطي إضافة إلى أحياء عشوائية أخرى في هذه المقاطعة لم تشملها عملية إعادة الهيكلة مثل دار السلامة وحي المطار القديم؛

✓ أما مقاطعة عرفات فتوجد بها أحياء عديدة خضعت لإعادة الهيكلة وهي أحياء 11A و11B الذي قسم فيما بعد إلى قطاعات(12 ، 13، ARS3 ، ID ، ILOTE ، FMA)؛

✓ وفي مقاطعة توجنين قسمت الأحياء المستهدفة بعملية إعادة الهيكلة في البداية إلى حيين كبيرين هما توجنين الغربية التي تشمل بوحديده بشقيه الشمالي والجنوبي، وتوجنين الشرقية التي تحتوي على الحي العسكري إلا أن اتساع المجال تطلب تدخل لجان عدة في عملية الإحصاء ثم المداخلات مما استدعى تقسيم تلك الأحياء إلى قطاعات عدة؛

✓ أما منطقة إعادة الإيواء(الترحيل) فيقع أغلبها في مقاطعتي الرياض وتوجنين بينما يقع جزء يسير منها في مقاطعة عرفات.

ثامنا – خطة البحث: اقتضت إشكالات الموضوع وتمفصلاته المختلفة تقسيمه إلى ثلاثة أبواب رئيسية وثمانية فصول فرعية، حيث تناول الباب الأول ثلاثة فصول تطرق أولها للإطار النظري والمفاهيمي للدراسة، في حين خصص الفصل الثاني لنشأة الأحياء العشوائية في مدينة نواكشوط كإطار مجالي عام تتموقع الظاهرة موضوع الدراسة داخله، أما الفصل الثالث فعالج أسباب ظهور السكن العشوائي بمدينة نواكشوط.

وناقش الباب الثاني ظاهرة السكن العشوائي في مدينة نواكشوط بين مآلات إعادة الهيكلة وتحديات إعادة التشكل، وجاء في ثلاثة فصول، حيث تعرض الفصل الرابع لمسارات تطور ظاهرة السكن العشوائي بمدينة نواكشوط، أما الفصل الخامس فتتبع واقع السكن العشوائي قبل 2008 والسياسات والحلول المتبعة للقضاء عليه، وعالج الفصل السادس دور السكن العشوائي في التوسع المجالي للعاصمة نواكشوط وأهم التحديات التي تواجه جهود التنمية الحضرية في هذا الإطار ومنها تحدي القضاء على ظاهرة السكن العشوائي.

بينما خصص الباب الثالث: لمشروع إعادة الهيكلة والإيواء الذي انطلق سنة 2008 ولا يزال مستمرا حتى الآن(2019). ويستهدف القضاء على الأحياء العشوائية في ثلاث مقاطعات من مدينة نواكشوط هي(دار النعيم، عرفات، توجنين). واشتمل هذا الباب على الفصل السابع: الذي يدرس عملية إعادة الهيكلة والإيواء في بعض أحياء العاصمة، أهدافها، وتحدياتها ونتائجها، من بداية عملية إعادة الهيكلة والإيواء في مقاطعات دار النعيم وعرفات وتوجنين، والفصل الثامن: الذي تناول الاستراتيجيات والحلول المقترحة لتنمية مجالية فعالة في أحياء إعادة الهيكلة والإيواء(الترحيل).

تاسعا– تقديم استمارة الاستبيان

تم الاستئناس في هذا المقال ببعض المعطيات الميدانية التي جمعها الطالب أثناء التحضير لأطروحة الدكتوراه التي يعدها حول "تهيئة الأحياء العشوائية في مدينة نواكشوط بين إعادة الهيكلة وإعادة الإيواء(الترحيل)، وذلك من خلال استمارة الاستبيان ودليل المقابلات والزيارات الميدانية لتوثيق الظواهر بالصور الفوتوغرافية ومقارنة الخرائط والمخططات بالواقع الميداني بقية اختبار فروض الدراسة والوصول إلى الأهداف المنشودة منها.

وانطلاقا من تعدد المجالات المدروسة وأهمية تغطيتها بالدراسة الميدانية وقع الاختيار على ستة أحياء لجمع بيانات الاستبيان ثلاثة منها في مناطق إعادة الهيكلة" التأهيل" بمقاطعات عرفات وتوجنين ودار النعيم، أما المجالات الثلاثة الأخرى فتقع في مناطق إعادة الإيواء(الترحيل) ومن أصل ستة قطاعات في منطقة إعادة الإيواء هي (16، 17، 18، 19، 20، 21) وقع الاختيار على ثلاثة قطاعات فقط هي القطاع 16 باعتباره من أقدم مناطق إعادة الإيواء وتكاد الفروق تختفي بين أجزاء عديدة منه ومناطق إعادة الهيكلة المجاورة له، إضافة إلى القطاع 18 الذي يمثل منطقة انتقالية بين التجزيئات الموزعة في بداية العملية وتلك التي وزعت وتوزع حاليا ويمثلها القطاعان(20 و21) وتم اختيار هذا الأخير كنموذج لأحياء إعادة الإيواء التي لازالت تهيأ وتوزع على المرحلين من أحياء إعادة الهيكلة كما تستقبل العديد من المستفيدين من تقسيم الأراضي من خارج سكان الأحياء العشوائية، وذلك بهدف أن تكون العينة العشوائية – على صغر حجمها – ممثلة لجميع أفراد المجتمع المدروس، فقد اقتصرت على(225 أسرة) تبين بعد معالجتها أن(25 استمارة منها ناقصة) لتبقى(200 استمارة) "مائتي أسرة" موزعة على الأحياء المذكورة لبلورة صورة عن الموضوع تسمح بتتبعه بمزيد الدراسة والتقصي. والجدول رقم (1) يوضح ذلك.

محتوى استمارة الاستبيان: وللإحاطة بموضوع الدراسة قسمت الاستمارة إلى سبعة أجزاء جاءت على النحو التالي:

- معلومات عامة عن أرباب الأسر
- الخصائص الاقتصادية والمهنية لأرباب الأسر
- الحركة المجالية لسكان الأحياء العشوائية
- معلومات متعلقة بالسكن

- تجهيزات المسكن الأساسية
- مراحل الحصول على السكن وطبيعة الحيازة أو الملكية.
- تحديات التنمية وآفاقها المستقبلية في منطقة الدراسة

الجدول (1): توزيع أسر العينة العشوائية حسب القطاعات

القطاع	مناطق إعادة التأهيل في مقاطعات			مناطق إعادة الإيواء(الترحيل)			المجموع
	دار النعيم	عرفات	توجنين	القطاع 16	القطاع 18	القطاع 21	
عدد الأسر المستجوبة	30	45	50	30	35	35	225
عدد الاستمارات المعتمدة	29	40	40	30	30	31	200
عدد الاستمارات اللاغية	01	05	10	00	05	04	025

المصدر: العمل الميداني مارس 2018.

وقد تناول الاستبيان العلاقات التي تربط الجيران قبل وبعد عمليات إعادة الهيكلة والإيواء، وكذلك مدى توفر الخدمات(الماء، الكهرباء، الصحة، التعليم، النقل...إلخ) ومناطق التزود بالحاجيات اليومية ومصروفات الأسرة شهريا، كما تم الاستفسار عن الظروف الأمنية ومدى الرضى عن السكن الجديد، ودرجة الإشغال أو التزاحم في الغرفة الواحدة، ومواد البناء المستخدمة قبل وبعد إعادة الهيكلة وكيف أثر تمليك الأرض للسكان على الارتباط بها من خلال قرينة الاستثمار، وهل بحوزة السكان الذين استثمروا في قطعهم الأرضية أنونات بالبناء خاصة لمن استخدم المواد الصلبة كالإسمنت والحجارة.

الجدول (2) وضعية الأسر المستهدفة بإعادة الهيكلة والإيواء في بعض أحياء العاصمة ـ نواكشوط

المقاطعة	أسر محصية	أسرة مؤهلة	أسر مرحلة	مساحة الحي العشوائي (هكتار)	% من مساحة المقاطعة
توجنين	41653	14093	23377	1000	27
عرفات	43910	15331	27566	670	47
دار النعيم	16985	8673	8034	280	15
المجموع	102548	38097	58977	1950	

المصدر: وكالة التنمية الحضرية، مصلحة المعلوماتية، قاعدة البيانات، معلومات غير منشورة، 2018.

من خلال الجدول يتضح أن مجموع السكان المستهدفين بعملية إعادة الهيكلة والإيواء يزيد على مائة ألف أسرة موزعين على ثلاث مقاطعات، وهو رقم كبير جدا خصوصا إذا ما اعتمدنا متوسط

حجم الأسرة(6.1) حيث يصبح حجم السكان في مقاطعتي توجنين وعرفات في حدود ضعف الحجم الإجمالي الذي أظهره تعداد 2013، كما تشير معطيات الجدول إلى أن نسبة 94.66% من الأسر المعنية بالعملية تمت تسوية وضعيتها النهائية إما بإعادة هيكلتها في الحي العشوائي الذي كانت تحتله أو بإيوائها في منطقة إعادة الإيواء(الترحيل)، بينما لا تزال نسبة 5.34% من الأسر المستهدفة في طريقها إلى التسوية، ومن ناحية أخرى بلغت مساحة الأحياء المستهدفة 1950 هكتار استأثرت مقاطعة توجنين بأكثر من 50% منها بينما كان نصيب دار النعيم 14.35% فقط والباقي لمقاطعة عرفات التي تعد مقاطعة حبيسة ضمن المجال الحضري للعاصمة. والشكل رقم(1) يبين وضعية الأسر المستهدفة بإعادة الهيكلة والإيواء في بعض أحياء العاصمة.

الشكل رقم (1) يبين وضعية الأسر المستهدفة بإعادة الهيكلة والإيواء في بعض أحياء العاصمة.

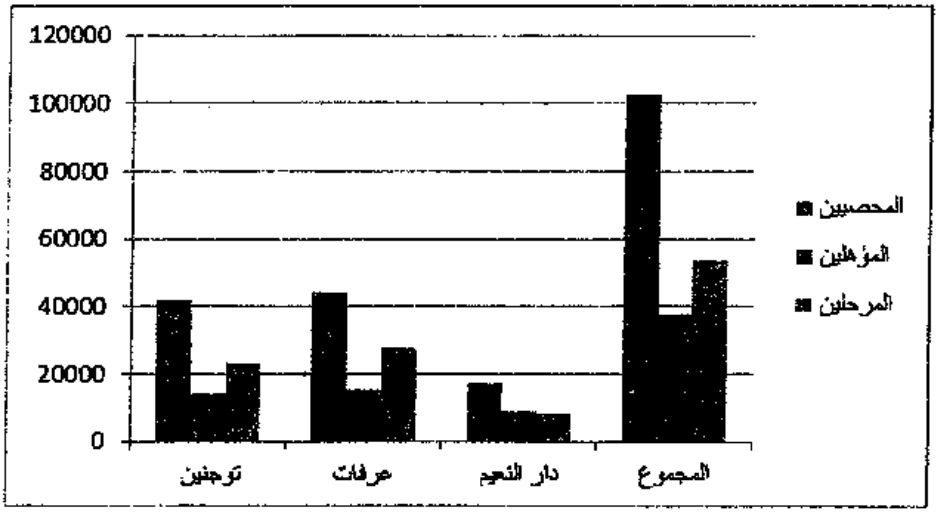

المصدر: الطالب بالاعتماد على بيانات الجدول رقم (1)

يظهر الشكل البياني مدى التفاوت الحاصل بين أحياء إعادة الهيكلة والإيواء حيث التي تتصدر مقاطعة عرفات الظاهرة من حيث عدد الأسر المحصية والمؤهلة والمرحلة، لتحتل مقاطعة توجنين المرتبة الثانية بحكم الحجم الديمغرافي للمقاطعتين وقرب عرفات النسبي من مركز المدينة، كما تتميز توجنين بوجود مساحة شاسعة ساعدت على انتشار السكن العشوائي بها، وأخيرا مقاطعة دار النعيم التي يقل حجم الظاهرة فيها عن نظيراتها بحدود الضعف أي ستة عشر ألف أسرة تقريبا.

وهكذا أدى ظهور الأحياء العشوائية بمدينة نواكشوط وما واكبها من عمليات إعادة الهيكلة والإيواء إلى طرح إشكالات حضرية عدة طال تأثيرها كلا من المجال والسكان والخدمات. وهو ما سنعالجه في عجالة من خلال النقاط التالية:

1- إعادة الهيكلة بين الضرورات والإمكانات:

يعد برنامج إعادة هيكلة الأحياء العشوائية في مناطق إعادة الهيكلة والإيواء، وما ترتب عنه من ولوج فئات عريضة من سكان مقاطعات عرفات وتوجنين ودار النعيم لاسيما من ذوي الدخل المحدود والفئات الهشة للملكية العقارية بالغ الأهمية لما له من تأثير على تنظيم النسيج العمراني بالمدينة ومدها بالبنى التحتية والتجهيزات الحضرية، إضافة إلى تأثير البرنامج على القيمة العقارية للأراضي المهيأة خاصة والسوق العقارية لمدينة نواكشوط عامة، فضلا عن تأثير عملية التهيئة برمتها في التوازنات والعلاقات الاقتصادية والاجتماعية التي كانت قائمة قبل بدء إعادة هيكلة الأحياء العشوائية بتلك المقاطعات، وهو ما يجعل هذا الموضوع جديرا بالدراسة والتقصي، خاصة بعد تبلور سياسات حضرية حديثة تهدف إلى مكافحة الفقر في الوسط الحضري من خلال القضاء على ظاهرة الأحياء العشوائية في المدن الموريتانية عن طريق تزويدها بمخططات تسمح بالولوج المنتظم للملكية العقارية والرفع من مستوى معيشة السكان وكذا الخدمات الأساسية كالتعليم والصحة والمياه والكهرباء[1]، ورفع القيمة العقارية للأراضي الحضرية من خلال شق الطرق وتقريب الخدمات وتهوية الفضاء الحضري، وهي تجربة ذاتية تبنتها الدولة الموريتانية ويمكن تقييمها وتأطيرها ضمن التجارب المغاربية في مجال " السكن غير اللائق والقضاء على السكن العشوائي"[2].

---

[1]) الشركة الوطنية لاستصلاح القطع الأرضية وتطوير الإسكان والترقية والتسيير العقاري، تقرير حول مشروع توسعة وعصرنة مدينة أزويرات.

[2]) التجارب المغاربية في مجال "السكن غير اللائق والقضاء على السكن العشوائي" طرابلس 2009، ورقة على موقع www.Google.com

الصورة (1) تحولات السكن بعد إعادة الهيكلة في حي بوحديده ـ توجتين

المصدر: تصوير الطالب بتاريخ 2018/01/23 10:16

توضح الصورة مرحلة انتقالية هامة تمر بها أحياء إعادة الهيكلة والإيواء وتحكمها عوامل عديدة منها الإمكانيات الاقتصادية التي سمحت لبعض الأسر الميسورة بتشييد مساكن راقية أو متوسطة بعد تمكينها من قطعها الأرضية، في حين حالت تلك الإمكانات دون تحقيق نفس الهدف بالنسبة لأسر كثيرة أخرى، إضافة إلى ما تسببه النزاعات العقارية وتأخر التنفيذ (أي إخلاء القطعة نهائيا لصاحبها من المحتلين السابقين) وهكذا يتجاور السكن الراقي مع السكن الهش إلى جانب قطع غير مستثمرة وأخرى اكتفى أصحابها لسبب أو لآخر ببناء جزء منها أو تشييد أساس فيها.

2- تهيئة الأحياء العشوائية في مدينة نواكشوط وتحدياتها

سجلت مدينة نواكشوط معدلات نمو سكاني كبيرة لا ترتبط بالمستوى الاقتصادي والخدمي الذي تتوفر عليه، بقدر ما ترتبط بالهجرة الوافدة الناتجة عن ظروف طاردة في مناطق شاسعة من موريتانيا، خاصة بعد موجات الجفاف الذي ضرب البلاد مع مطلع سبعينيات القرن العشرين وقضى على أغلب الأنشطة الاقتصادية التقليدية لسكان الريف فهاجروا إلى مدينة نواكشوط بحثا عن فرص العمل والخدمات في حين أن المدينة لم تستعد لإيوائهم من حيث القاعدة الاقتصادية

ومستوى توفر الخدمات[1]، كما شكلت الأزمات السياسية(حرب الصحراء، والأزمة الموريتانية السنغالية) وفشل غالبية خطط وبرامج التنمية الوطنية دوافع أخرى للهجرة إلى المدينة. وإذا كانت الهجرة قد ساهمت بشكل حاسم في نمو سكان هذه المدينة خلال مراحلها الأولى وإلى غاية بداية الثمانينات من القرن الماضي فإن النمو الحالي للمدينة وما يرافقه من اختلالات أصبح في المقام الأول بفعل الزيادة الطبيعية لسكان المدينة الذين وصل عددهم حسب تعداد 2013 إلى 958399 نسمة.

المخطط رقم(1) يوضح تحولات إعادة الهيكلة والإيواء في بعض أحياء العاصمة نواكشوط 2013.

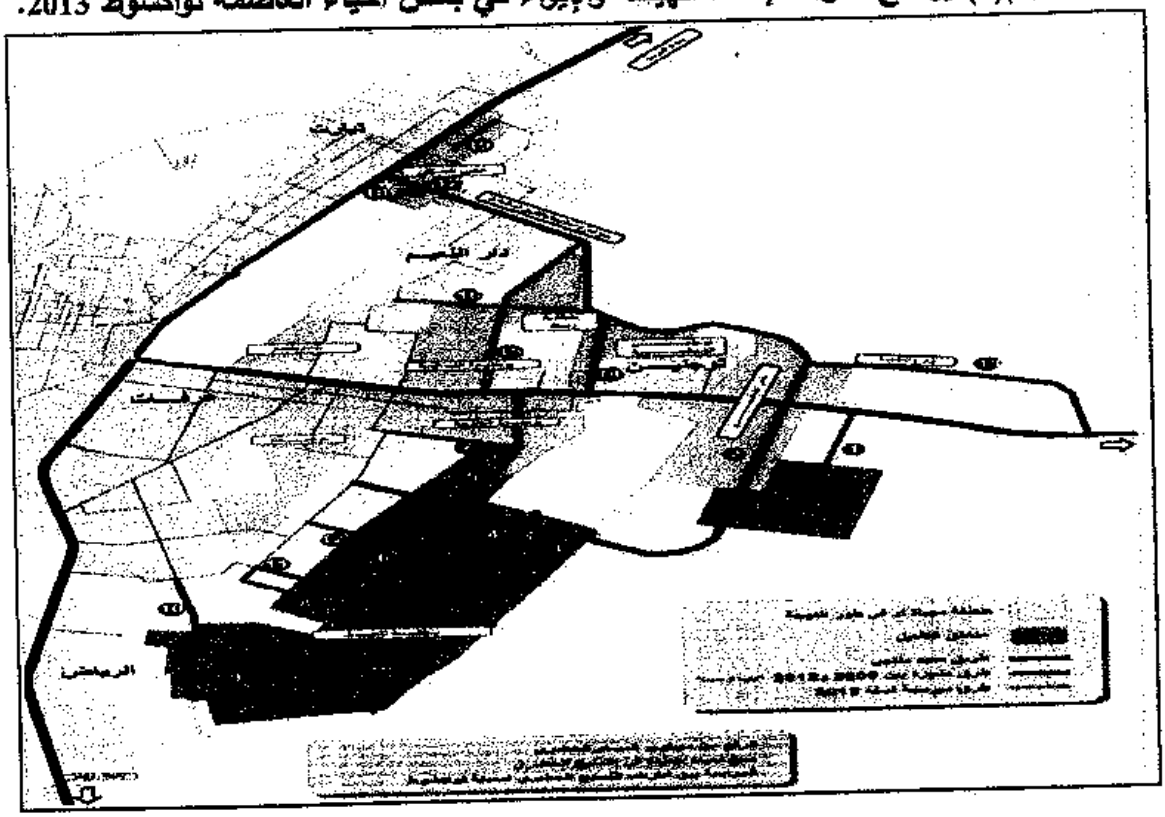

المصدر: الطالب بالاعتماد على وكالة التنمية الحضرية.

[1]) للتوسع أكثر في هذا الموضوع راجع ولد محمد السالك أحمد، اللامركزية الإدارية ومطلب التنمية، البلديات بموريتانيا نموذجا، الطبعة الأولى، دار القلم، الرباط 2014.

من خلال المخطط أعلاه نلاحظ توزيع أحياء إعادة الهيكلة(الأحياء العشوائية سابقا) باللون الأصفر حيث تنتشر على نطاق واسع بمقاطعتي عرفات وتوجنين وبشكل أقل حدة على أجزاء من مقاطعة دار النعيم، كما يظهر الشكل مناطق إعادة الإيواء والطرق المنجزة والمبرمجة في تلك الأحياء.

لم تكن المدينة الناشئة قد تهيأت لاستقبال الوافدين الجدد، مما أدى إلى عجزها عن تلبية الطلب المتزايد على الأراضي والخدمات فاسحة المجال لتجاوزات وأزمات على المستويات كافة، إذ لم يتم احترام المخططات الحضرية المتواضعة، كما احتلت أراضي غير مهيأة، بل غير صالحة للاستخدامات الحضرية أحيانا، ونشطت المضاربات العقارية، مما أضر بالبيئة الحضرية، بينما تراوحت سياسة الجهات المعنية بين غض الطرف عن تلك المخالفات أحيانا وتشجيعها والإسهام فيها أحيانا أخرى من خلال تقديم الحلول الجاهزة كتمليك الأراضي المحتلة وتوزيع أراضي أخرى دون التفكير في انعكاسات ذلك على التنمية الحضرية في جوانبها المختلفة الحضرية والاقتصادية والاجتماعية والبيئية وهو ما يتطلب حلولاً جديدة أخرى.

كل هذه العوامل(الهجرة، النمو الطبيعي للسكان، الطلب المتزايد على الأراضي والخدمات، والمضاربات العقارية، السكن العشوائي، وعدم احترام مخططات التهيئة الحضرية، واستغلال أراضي لا تصلح للاستخدام الحضري وغيرها من مظاهر التعامل غير المعقلن مع المجال الحضري) جعل الأحياء تعيش ثنائية إعادة الهيكلة وإعادة التشكل من جديد، الشيء الذي يجعلنا أمام دينامية مجالية تحتم إجراء دراسة معمقة تعتمد بالدرجة الأولى على استنطاق الميدان.

الصورة (2) السكن الهش في القطاع 21 منطقة الإيواء

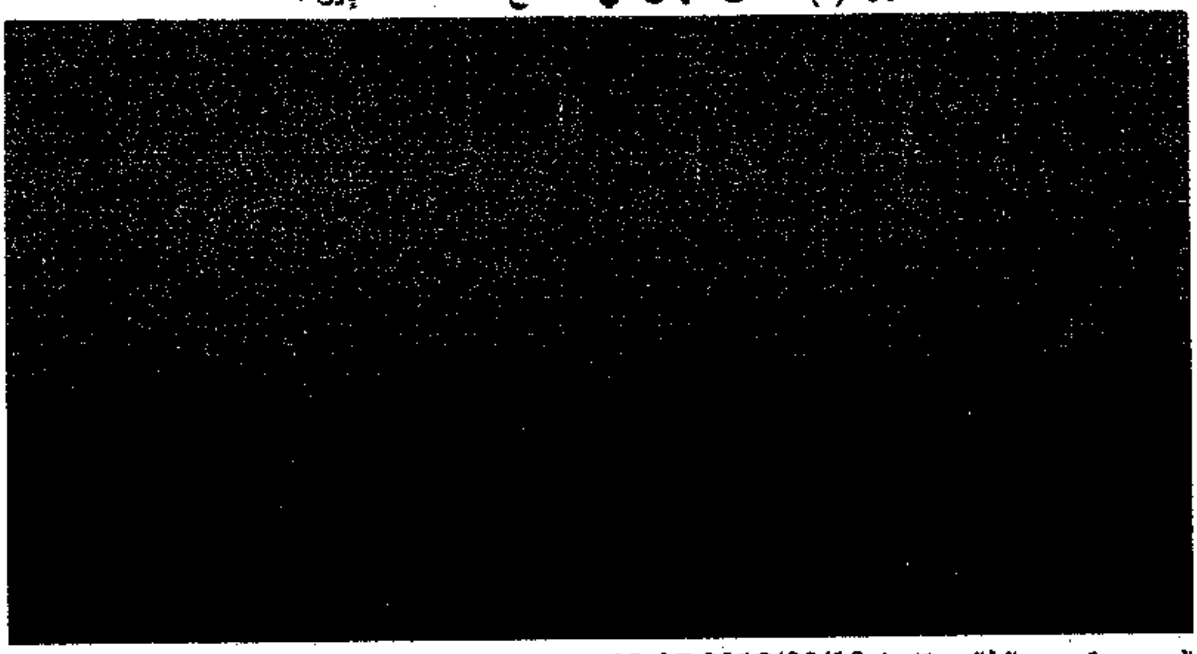

المصدر: تصوير الطالب بتاريخ 2018/03/18 18:07.

على الرغم من أن هذه الصورة من منطقة الإيواء والتي يفترض أن تكون خالية من السكن الهش إلا أن الظروف المادية للكثير من الأسر حالت دون بناء سكن لائق فأقاموا مساكن شبيهة بسكنهم السابق في الأحياء العشوائية.

فمن الناحية الاقتصادية ارتفعت القيمة العقارية للقطع التي وزعت على الأسر المستهدفة كما تم تقريب الخدمات منهم، مما انعكس إيجابا على مستوى رضاهم عن ظروفهم السكنية الجديدة مقارنة بالظروف التي كانوا يعيشون فيها قبل إعادة الهيكلة والإيواء، واجتماعيا تأثرت علاقات الجيران والقرابة ومما تسبب في انقطاع النسيج الاجتماعي للسكان في منطقة الدراسة.

3- حضور السكن العشوائي في دينامية توسع العاصمة ـ نواكشوط

تقع مدينة نواكشوط في الطرف الغربي القصي من موريتانيا عند تقاطع دائرة العرض[1]07. 18° شمالاً مع خط الطول [1]15.56° غرباً، قرب المحيط الأطلسي، في منطقة تغلب عليها الكثبان القارية شرقا والساحلية غربا وتتخللها سهول ومنخفضات تصل إلى ما دون مستوى سطح البحر أحيانا كالسباخ الملحية، وقد تم اختيار هذا الموقع على عجل غداة الاستقلال لاحتضان عاصمة الدولة

الموريتانية الوليدة، وقدر عدد سكانها سنة 1961 بحوالي 5807 نسمة بينما أظهرت نتائج رابع تعداد عام للسكان والمساكن في موريتانيا أجري سنة 2013 أن هذا العدد وصل 958399 نسمة، وتقع منطقة الدراسة "أحياء إعادة الهيكلة والإيواء" في أكبر مقاطعات العاصمة وزنا سكانيا حيث يمثل سكان عرفات، ودار النعيم، وتوجنين قرابة 464053 أي نسبة 48.41% من مجموع سكان العاصمة [1]، كما انتقلت مساحة مدينة نواكشوط من حوالي واحد كم^2 بعد تأسيسها سنة 1958م إلى حوالي 204 كم^2 حاليا[2]، وهو ما يسمح بالقول إن ما كانت عليه مدينة نواكشوط عند تأسيسها يختلف جملة وتفصيلا عن ما هي عليه الآن، ولا غرابة في الأمر بالنسبة لمدينة عاصمة سياسية تتركز بها السلطة السياسية والإدارية وتحتضن المقرات الرئيسية الخدمية والمالية والبعثات الدبلوماسية مما لا يتيح أي فرصة لمقارنتها بأي من المراكز الحضرية على المستوى الوطني، مما جعلها قطبا وحيدا يهيمن على المجال الوطني برمته، لكن وضعية الاستقطاب هذه أضرت بالمدينة أكثر مما أفادتها، وأصبحت تطرح إشكالات عدة بالنسبة لتهيئتها، ولعل من أهم تلك الإشكالات وأقدمها إشكالية السكن العشوائي وما تطرحه من تحديات ظلت تفرض نفسها على صناع القرار رغم تباين السياسات والمقاربات المتبعة لمواجهة تلك الإشكالية من فترة لأخرى لمدة تقارب نصف قرن(من 1974 حتى اليوم 2018).

لم تكمل مدينة نواكشوط عقدها الثاني حتى أصبحت تعاني من مشكلات عديدة لعل أهمها ظاهرة السكن العشوائي، إذ لم يشفع لها قرب إنشائها ولا بعدها النسبي عن مركز الثقل السكاني والقبلي والأميري حين تأسيسها ولا الوظيفة الإدارية التي أنشئت من أجلها في أن تصبح قبلة لأفواج المهاجرين الذين لم يجد بعضهم بدا من بناء خيم وأعرشة على أطراف المدينة فوق أراضي مملوكة للدولة في ظل عجز هذه الأخيرة عن توفير الكثير من الخدمات الضرورية وعلى رأسها السكن ولا حتى توفير الأراضي المهيأة كاحتياط عقاري يمكن أن يجنب المدينة ظهور أحزمة السكن العشوائي الهش، من هنا بدأت حكاية مدينة نواكشوط مع ظاهرة السكن العشوائي التي مرت بمراحل كثيرة

---

[1]) المكتب الوطني للإحصاء، النتائج النهائية للتعداد الرابع للسكان والمساكن في موريتانيا، نواكشوط 2013.

[2]) ولد أباه محمد محمود، منطقة نواكشوط تحديات الموقع وإشكالية التهيئة، حوليات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة نواكشوط، العدد التاسع، نواكشوط 2011، ص 38.

كانت البداية مع مطلع السبعينيات من القرن العشرين عند ما استقبلت المدينة عشرات آلاف المهاجرين الداخليين الذين اختاروا في البداية الأطراف الجنوبية من المدينة ربما لقربها من مركز المدينة والسوق وهو ما يمكنهم من جلب ما يقدرون على اقتنائه من حاجياتهم، والقرب من أماكن العمل بالنسبة للذين وفقوا في الحصول على عمل في الإدارة أو في السوق وأطلق المهاجرون على الحي الجديد اسم حلة شرويطة نسبة إلى المادة الأساسية في تكوين البناء وهي القماش[1] وكذلك حلة براك، وما إن تتالت أفواج المهاجرين الداخليين وحتى انتشر السكن العشوائي على أطراف الحيين المخططين لكصر – والعاصمة، وهو ما دفع الجهات المختصة إلى إنشاء مناطق جديدة لإيواء المهاجرين الذين فضل بعضهم بيع القطع الممنوحة له والانتظار في أحياء الصفيح، ليصبح السكن العشوائي بذلك فاعل قوي في إشكالية توسع المدينة.

الصورة (3) من حي لمغيطي بدار النعيم قبل إعادة الهيكلة

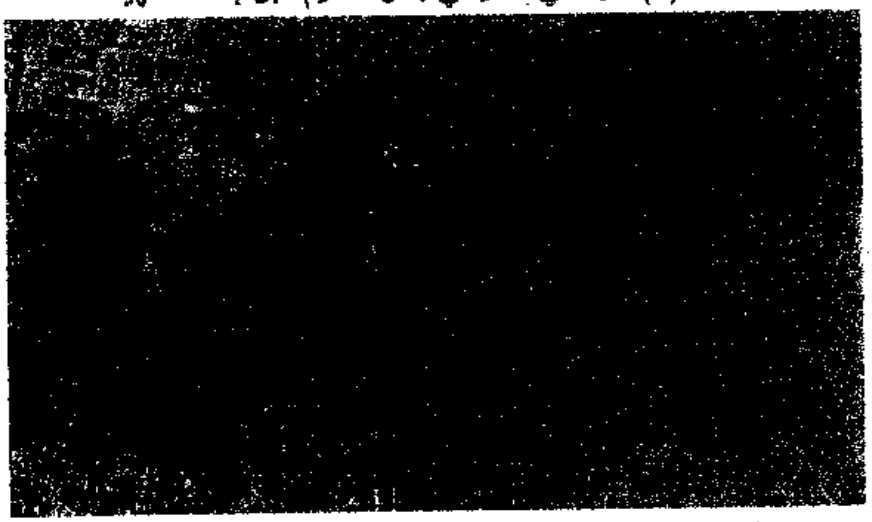

المصدر: مرصد نواكشوط للخدمات والممتلكات الحضرية 2012.

[1]) تطلق كلمة حله في اللهجة الحسانية على مجموعة من الخيم يضربها حي يميل للاستقرار أكثر من البدو الظاعنين، بينما تعني أشرويطة تصغيرا لشرويطة وهي قطعة قماش جديدة أو مستعملة تستخدم في صناعة الخيمة.

الخلاصات الأساسية للدراسة:

أظهرت النتائج الأولية للدراسة أن انتشار السكن العشوائي في مدينة نواكشوط أدى إلى انعكاسات كثيرة على السكان وعلى النسيج الحضري للمدينة، حيث يظهر تشويه المنظر العمراني من خلال تجاور أنماط مختلفة من السكن فإلى جانب الفيلا العصرية نجد الخيمة والعريش والكوخ وغيرها من مظاهر السكن الهش كالمرافق وحظائر الحيوانات الأليفة، وهو ما يمكن إرجاعه لتفاوت الظروف المادية لسكان تلك الأحياء إضافة إلى مشكلات عديدة لازالت تحول دون استثمار بعض الأراضي كالنزاعات العقارية وعدم التنفيذ، فضلا عن انتشار الفقر بين السكان.

قامت وكالة التنمية الحضرية على مستوى منطقة الدراسة باستصلاح وتوزيع قرابة 140 ألف قطعة أرضية موزعة بين مناطق إعادة الهيكلة والإيواء، كما شقت 130 كلم من الطرق منها 30 كلم معبدة و100 كلم مدعمة، إضافة إلى تشييد 24 مدرسة وثلاثة مراكز صحية وستة أسواق وأربع مفوضيات للشرطة[1]، كما وصلت تمديدات المياه والكهرباء لأحياء عديدة، بينما لا تزال أحياء أخرى في أمس الحاجة إلى تلك التمديدات. وهكذا فإن الجهات الرسمية أعلنت أكثر من مرة عن اكتمال مشروع تهيئة الأحياء العشوائية في مدينة نواكشوط وفي مرات أخرى تقول إن أكثر من 90% من المشروع قد أنجزت.

ومن خلال الزيارات الميدانية لمجال مترامي الأطراف يتضح أن سكان منطقة إعادة الإيواء هم بالدرجة الأولى من الفقراء الذين حطمت مساكنهم في الأحياء العشوائية" الكزرة" سابقا أي منطقة إعادة الهيكلة حاليا وقاموا باستثمار كل ما يملكون في القطع التي منحت لهم في منطقة إعادة الإيواء(الترحيل) وهي منطقة ناقصة الخدمات والتجهيزات، لذلك لم يستطع بعضهم التكيف مع ظروف تلك الأحياء التي لا تتوفر على الحد الأدنى من الخدمات فاضطر إما لبيع القطعة التي حصل عليها أو تركها حتى تتحسن ظروف المنطقة ويجد ما يشيد بيه مسكنا ولو شبيها بسكنه السابق، ويقوم بتأجير مسكن في منطقة يسهل فيها الوصول إلى الخدمات.

ويبدي بعض سكان الأحياء العشوائية "الكزرات" امتعاضا كبيرا خاصة الذين لا يزالون في انتظار التسوية النهائية لمشكلاتهم المتعلقة بالسكن سواء من يقعون منهم خارج المخططات التي أسندت

---

[1]) وكالة التنمية الحضرية، معلومات غير منشورة، نواكشوط 2018.

لوكالة التنمية الحضرية مهمة تهيئتها أو الذين يقعون في مربعات تحتاج إلى تعديل لم يتم حسمه وتطبيقه حتى الآن، وهناك أيضا أحياء تقع داخل المخططات المسندة للوكالة إلا أن سكانها لم يتم إحصاؤهم.
كما لاحظ الطالب امتعاض السكان المستهدفين وخاصة المراجعين للإدارة من بطء سير عملية إعادة الهيكلة والإيواء وهو ما عبر عنه بعضهم بالكتابة على الحيطان، ففي حي بوحديد الشمالي كتب على حائط إحدى المدارس" السكن حق لا مكرمة" أما حائط الإدارة الجهوية للتعليم في توجنين فقد كتبت عليه عبارة "كفاكم مماطلة في لجان التنفيذ" وقد وقعت هذه العبارة باسم" حراك أندور نسكن" مما ينم عن حالة من الاستياء وعدم الرضى بين السكان عن طريقة التعاطي مع تهيئة الأحياء العشوائية.

وعند تقييم عملية إعادة هيكلة الأحياء العشوائية بمختلف الجوانب الإيجابية والسلبية منذ انطلاقتها وحتى الآن(2019) يتضح مدى أهمية إسهامها في بلورة نسيج حضري أكثر انسجاما مع باقي أحياء مدينة نواكشوط، فضلا الدور الذي لعبته في التوسع العمراني للمدينة، إضافة لما حققته من تنمية اقتصادية واجتماعية لسكان مناطق إعادة الهيكلة والإيواء، ومع ذلك فإن رصد نواقص وسلبيات عديدة صاحبت العملية منذ باديتها حتى الآن وفي كل محطاتها لا يتطلب كبير عناء. وهو ما سنتناوله من خلال المحورين التاليين سلبيات وايجابيات إعادة الهيكلة والإيواء.

أولاً- إيجابيات إعادة الهيكلة والإيواء:

- ✓ ولوج عشرات الآلاف من الأسر من سكان الأحياء العشوائية سابقا للملكية العقارية؛
- ✓ تنظيم المجال الحضري بأحياء إعادة الهيكلة؛
- ✓ تحسين نوعية السكن في الأحياء المستهدفة؛
- ✓ إيجاد بيئة حضرية أكثر ملاءمة للأنشطة الاقتصادية عامة والتجارة والنقل الحضري خاصة من خلال تعبيد الطرق وتشييد الأسواق والمحلات التجارية؛
- ✓ تزايد الطلب على اليد العاملة في مجال البناء من قبل القطاعين العام والخاص؛
- ✓ تمكين سكان أحياء إعادة الهيكلة والإيواء من الولوج إلى الخدمات الأساسية؛
- ✓ تحسين ظروف حياة السكان والظروف البيئية؛
- ✓ إنشاء وتطوير بنى تحتية للتعليم والصحية تشمل رياض الأطفال والمدارس والثانويات ودور الشباب، والمراكز والنقاط الصحية؛

- ✓ مد بعض الأحياء بالمياه الصالحة للشرب، وربطها بالشبكة الكهربائية؛
- ✓ تشييد بنى تحتية أمنية في وسط حضري منظم مما يساعد في تسهيل مهمة الأمن.

إضافة إلى أهمية الخبرة التي اكتسبت الدولة الموريتانية في معالجة الأحياء العشوائية من خلال تجربة وكالة التنمية الحضرية التي اعتمدت على أبناء الوطن دون الحاجة للاستعانة بخبرات أجنبية.

ثانيا- سلبيات إعادة الهيكلة والإيواء:

- ✓ أدى توزيع القطع الأرضية بسخاء من طرف الدولة إلى انخراط العديد من السكان سماسرة ومضاربين وغيرهم في عمليات تستهدف الحصول على مزيد من القطع الأرضية سواء باحتلال أراضي جديدة لتشريعها أو بوضع اليد على أراضي ضمن مخططات إعادة الهيكلة ولم تكن مستغلة من قبل، فأصبح بيع الأراضي واستخراج وثائقها وغيرها من خدمات تسهيل الحصول على الأرض مهنة لعديد الأشخاص الذين يترددون يوميا على الإدارات ويعرضون خدماتهم على المراجعين رغم أنهم لا يعملون في الإدارة؛
- ✓ يشكل التمدد العمراني للمدينة تحديات عديدة أمام مدها بشبكات المياه والكهرباء والنقل وخدمات التعليم والصحة والأمن وغيرها؛
- ✓ إذا كانت عملية إعادة الهيكلة في النمط المعروف ب "الكبة" في مقاطعة الميناء قد استفادت من دعم مالي كبير من البنك الدولي فإن عمليات إعادة الهيكلة والإيواء في" الكزرة" بمقاطعات عرفات وتوجنين ودار النعيم قد كلفت الدولة الموريتانية أموالا طائلة؛
- ✓ تسببت إعادة الهيكلة والإيواء في وجود أزمة عقارية ناتجة عن زيادة العرض بعد استصلاح مئات الآلاف من القطعة الأرضية ودخول بعضها إلى السوق العقارية وتراجع الطلب عليها؛
- ✓ تسببت عمليات إعادة التأهيل وخاصة مرحلتي الإحصاء والمداخلات في نزاعات عديدة لا سيما بين الجيران فيما يتعلق بحدود حوزاتهم من جهة وبين السكان والإدارة عندما لا يقتنع بعض المستهدفين بعدالة القرار المتخذ في حقه.

الخاتمة

ركزت هذه الدراسة على عملية إعادة هيكلة الأحياء العشوائية في مدينة نواكشوط خاصة النمط المعروف محليا ب" الكزرة" كجزء هام ومتميز ضمن الأحياء العشوائية بالمدينة، وما ترتب على عملية الهيكلة تلك من تمايز مجالي وتحولات ملحوظة على مستوى النسيج الحضري وشبكات

البنية التحتية والخدمات، في إطار تعاطي الفاعلين المحليين مع المجال المدروس وفي مقدمتهم الجهات الإدارية المعنية بتهيئة الأحياء العشوائية، ثم السكان المستهدفين، وسماسرة الأراضي والمضاربين العقاريين وغيرهم.

إن الإشكالات التي تثيرها عمليات إعادة الهيكلة والإيواء في مدينة نواكشوط على تعددها وتشعب مداخلها تبقى مرهونة بتبني سياسة تنموية شمولية وواعية تأخذ في الحسبان الأبعاد الحضرية والاقتصادية والاجتماعية والبيئية المتحكمة في تلك الإشكالات وعلى رأسها رقابة المجال الحضري، ووضع سياسة عقارية تسهل الولوج للملكية العقارية وفق إجراءات في متناول سكان مدينة نواكشوط، وتعبئة الموارد المالية والبشرية الكفيلة بنقل تلك الأحياء من واقعها الحالي إلى مستوى الأحياء الراقية أو المتوسطة في المدينة، وتوعية السكان حضريا وبيئيا حتى يتم التغلب على الكثير من عقلياتهم وممارساتهم المتخلفة أثناء تعاملهم مع المجال كأساليب التخلص من النفايات وغيرها.

التوصيات

لا زالت الأحياء العشوائية المهيأة حديثا بحاجة ماسة لبرامج تنموية طموحة تمكنها من الاندماج في النسيج الحضري لمدينة نواكشوط، وهو ما يستدعي تدخل فاعلين تنمويين كثر سواء لتطوير البنى التحتية أو للنهوض بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية لسكان يعانون الفقر والهشاشة، ومن هنا فإن التوصيات التالية قد تكون مهمة في حلحلة التحديات التي تعيشها منطقة الدراسة:

- توفير الخدمات التي تعاني نقصا كبيرا على مستوى منطقة الدراسة بأسعار تناسب القدرة الشرائية للسكان؛
- توفير فرص العمل من خلال مشاريع وأنشطة مدرة للدخل في هذه الأحياء؛
- دعم الأسر التي لا تقدر على بناء مساكنها لتشييد مساكن تستجيب للنظم المعمارية؛
- رسم مخطط توجيهي للتهيئة على مستوى العاصمة يراعي كل الأبعاد الكفيلة بتنميتها بما فيها أحياء إعادة الهيكلة والإيواء؛
- حل المشاكل والنزاعات الناتجة عن عمليات إعادة الهيكلة والإيواء؛
- مراقبة المجال الحضري للحد من الاحتلال العشوائي للأراضي والتصدي لظاهرة الأحياء العشوائية والتوسع الأفقي للمدينة؛

- إنشاء وتطوير أقطاب تنموية داخل البلاد توفر الخدمات وفرص العمل وتحد من الهجرات الداخلية صوب العاصمة نواكشوط.

قائمة المراجع:

أولا- الكتب:

1- برنامج الأمم المتحدة للمستوطنات، تقرير المدير التنفيذي، حوار بشأن الموضوع الرئيسي الخاص للدورة الخامسة والعشرون، نيروبي 2015.

2- بوجى كارنييه، جاكلين، دراسات في جغرافية العمران الحضري، تقديم وتعريب، محمد علي بهجت الفاضلي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية .2000

3- الشركة الوطنية لاستصلاح القطع الأرضية وتطوير الإسكان والترقية والتسيير العقاري، تقرير حول مشروع توسعة وعصرنة مدينة أزويرات.

4- الشريعي، أحمد البدوي، الدراسة الميدانية أسس وتطبيقات في الجغرافيا البشرية، دار الفكر العربي، القاهرة .2004

5- الشريعي، أحمد البدوي، دراسات في جغرافية الحضر، دار الفكر العربي، القاهرة .1995

6- صافيتا، محمد، وعدنان عطية، جغرافية المدن والتخطيط الحضري، منشورات جامعة دمشق، دمشق .2006

7- عطوي، عبد الله، جغرافية المدن، الجزء الأول، دار النهضة العربية، بيروت 2001.

8- عطوي، عبد الله، جغرافية المدن، الجزء الثالث، دار النهضة العربية، بيروت 2003.

9- فتحي محمد أبو عيانة، مشكلات السكان في الوطن العربي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية بدون تاريخ نشر.

10- مجموعة نواكشوط الحضرية، الحضرية للمعرفة، مجلة دورية تصدر عن رئاسة مجموعة نواكشوط الحضرية، العدد الأول، ديسمبر 2002.

11- مجموعة نواكشوط الحضرية، مشروع الحكامة المحلية والوئام الاجتماعي، مرصد نواكشوط للخدمات والممتلكات الحضرية، دراسة النمو المجالي لمدينة نواكشوط، تطور المباني من 2007 إلى 2012، نواكشوط 2014.

12- المكتب الوطني للإحصاء، النتائج النهائية للتعداد الرابع للسكان والمساكن في موريتانيا، نواكشوط 2013.

13- وزارة الثقافة والشباب والرياضة بالتعاون، "نواكشوط عاصمة موريتانيا 50 عاماً من التحدي"، ترجمة محمد المصطفى ولد سيد أحمد، دار سيبيا، 2006.

14- وكالة التنمية الحضرية، مصلحة المعلوماتية، قاعدة البيانات، معلومات غير منشورة، 2018.

15- ولد أباه محمد محمود، منطقة نواكشوط تحديات الموقع وإشكالية التهيئة، حوليات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة نواكشوط، العدد التاسع، نواكشوط 2011.

16- ولد المحبوبي، سيدي عبد الله، الهجرات الداخلية والتنمية في موريتانيا (الثنائي الحرج)، المطبعة الجديدة، تونس 1997.

ثانيا- الأطروحات:

1- ولد الشيخ محمد، محمد الحسن، مدينة نواكشوط دراسة في جغرافية العمران، بحث لنيل شهادة الماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، شعبة المساحة والخرائط، جامعة الإسكندرية، 2012.

2- ولد سيدي كواد، النمو السكاني والتوسع العمراني لمدينة نواكشوط منذ عام 1960-2005 (دراسة في جغرافية المدن)، رسالة ماجستير، جامعة دمشق 2008.

3- ولد كاوي، الدح، تحليل ظاهرة السكن الفوضوي وأثرها على النسيج العمراني لمدينة نواكشوط، رسالة ماجستير في الجغرافيا والتهيئة القطرية، كلية علوم الأرض والجغرافيا والتهيئة القطرية، الجزائر 2008.

4- ولد محمد ناصر محمد بباه، من أزمة البادية إلى التحضر الفوضوي في موريتانيا؛ نواكشوط نموذجا، أطروحة دكتوراه دولة، جامعة محمد الخامس آكدال 2007.